

النشاط الثقافي في الغرب

الجزائر

مولود فرعون

★

في 15 آذار وقع الكاتب الجزائري المعروف مولود فرعون صريحا تحت رصاص شذمة من « منظمة الجيش السري » في مدينة الجزائر ، فاهتز لمصره رجال الفكر في فرنسا وفي العالم ، ونقلت الصحف هذا النبا بحروف عربية وبكثير من التفاصيل. وقع ضحية الواجب والضمير والانسانية ، وهو الذي كرس نشاطه ، في السنوات الاخيرة للعمل على التآليف بين القلوب في الجزائر الممزقة .

ولد فرعون سنة 1913 في الجبال القبائلية على مقربة من فسور - ناسيونال . كان من عائلة فقيرة جدا ، الا انه اظهر من النجاة والاجتهاد في دروسه ما جعل منه معلما في مدرسة ضعيفته ، وبعدها مديرا لمدرسة في فور - ناسيونال .

ظهرت روايته الاولى : « ابن الفقير » سنة 1951 فلاقت رواجا قويا في الجزائر . سنة 1952 نالت روايته « الارض والدم » الجائزة الشعبية . اما كتابه الاخير فهو « الدروب التي تصعد » .

وقد كتب جان دانيال في العدد الاخير من مجلة « بروف » مقالا عن مولود فرعون جاء فيه :

كان الثقافي بمولود فرعون ، للمرة الاولى ، في منزله الذي يقع بالجبال القبائلية ، وفي فور - ناسيونال بالذات . كنت اعرف الكثير عنه . ومن هذا الكثير ان كامو قد فكر بامثاله او به هو دون سواء عندما كتب العبارة التالية : « احس بانني اقرب بما لا يحده الى معلم مدرسة قبائلي مني الى مثقف باريسي » . ومن هذا الكثير ايضا انه نال اعجاب الادباء الفرنسيين (وبينهم لوى غيو وجان كايرول وفرنسيس يونج ...) الذين نوجهوا الى الجزائر للاشتراك بمؤتمر يضم الادباء الجزائريين . كان غيو اشدهم حماسا : لقد عرف بصاحب « ابن الفقير » اخا له في مهنة الكتابة .

هذا من جهة ، اما من جهة ثانية فكننت اعرف ، استنادا الى روبلس الذي اعانه كثيرا ، ان طفولته كانت محفوفة بالمصاعب وانه كان ذا موهبة ادبية نادرة . كان يعيد مرتين وثلاثا واربع مرات كتابة ما يشير عليه الناشر او روبلس نفسه باعادة كتابته او تحويره . وعندما كان يتراعى الى مسامحه انه قد لاقى نجاحا كان يعزو ذلك الى تسامح القارئ ، معتقدا ان مجرد كونه قد توصل الى الكتابة انما هو امر بعيد الخطورة ، فاذا ما نالت كتاباته الاستحسان فذلك اكثر مما يستحق !

لقد تنزهنا معا في جبله وعرفت ان اعرفه . كان من هذه الفئة التي يحبها كامو : سكوتا ، ناعما ، بعيد النفاذ ، قويا ، على تلاؤم مع الحياة . وكانت مرونته تزداد يوما فيوما فيتأصل ويثبت وجوده . حتى ان احساسه من الداخل بمأساة الجزائر ، مأساته هو ، كان يتوقف وبلتهب ويتخذ شكلا معينا مقصورا عليه دون سواء . فلم يكن يعتقد مثلا بان عليه ان يقوم بالجهاد المسلح ، مما قاد مجاهدي جيش التحرير الوطني الى الاقرار له بذلك . عندها انخرط في ما دعي بالمراكز الاجتماعية التي انما هي رمز حي للتعاون والتضامن بين الاوروبيين والوطنيين .

كانت المراكز الاجتماعية هذه جزرا من الاخاء والثقافة في خصم تلاطم فيه امواج الحقد والغفطات . كانت مثلا يشار اليه بالبنان عندما

لم يبق ثمة من أمل في تعايش سلمي بين عنصرين يتحاربان . وطلوال اعوام طويلة كان يشعر الفرنسيون والمغرب الذين تعارفوا داخل هذه المراكز بانهم هم الذين سينتقون المستقبل الحقيقي ويؤلفون طبقة من ارسطوقراطية التفاهم . انها مراكز الانفتاح والتماطف ، ومن انتمى اليها اتسم بسمة النبيل الخلقي والفكري . في اجوائها عاش مولود فرعون فتفتح وازداد انسنه اكثر منه بين اصحابه الباريسيين الذين عرضوا عليه حمايتهم يوم حسبه مهيدا . الا انه رفض عروضهم بكثير من اللطف والدراية . رفض فلاقي حتفه !

الاتحاد السوفياتي

ماساة ايفنسكايا

الحياة الادبية في الاتحاد السوفياتي

★

حصل مؤخرا جدل في موسكو بصدد قصيدة تندد بالزعة المناهضة للساميين وضعها شاعر شاب يدعى اوجين افنوشنكو ، وهو مجيد ولامع معا . فبعد ان ناله لوم النقاد الرسميين هتف له جمهور موسكو ، غب ذلك بايام ، في مناسبة يوم الشعر ، وحمله مظفرا الى منصة الشرف حيث لم يعين له مقعد .

انه دليل بين دلائل اخرى على تحرر الحياة الفكرية في الاتحاد السوفياتي ، ومن ابرزها ايضا افلام تشوكراي وارااه اهرنوزغ الجريئة في دور الكاتب السوفياتي ، ونشر قصائد جديدة لبوريس باسترنالك، ودلائل غيرها . ومع ذلك فالتدابير التصفية والتحضير لا تزال ترزح على الحياة الادبية في الاتحاد السوفياتي .

ففي السابع من شهر ديسمبر عام 1960 قضت احدى المحاكم في موسكو على السيدة اولغا ايفنسكايا معاونة باسترنالك الحميمة ووكيلته الادبية بالسجن سبعة اعوام ، كما قضت على ابنتها ايرينا بالسجن ثلاثة اعوام بتهمة « تهريب نقدي » . ثم نقلنا الى سيبيريا ، وانقطعت اخبارها .

توفي باسترنالك في الثلاثين من شهر مايو عام 1960 . وقد ابدى عن مخاوفه في رسائله الاخيرة ، بصدد المصير الذي قد تدخره السلطات السوفياتية لمعاوته الحميمة . قال في احدى هذه الرسائل « ان اولغا واولادها هم بمثابة رهائن ضدي » .

كانت مخاوف باسترنالك مبنية على حدث سابق رهيب . فمن عام 1948 حتى عام 1952 نفيت السيدة اولغا ايفنسكايا الى سيبيريا بعد ان عذبت في احد سجون موسكو ، وحاول معذبوها ان يجبروها على التصريح بان باسترنالك هو عميل الاستعمار الغربي . لكنها لم تدعن لهم . وثمة محن اخرى المت بهذه المرأة الشجاعة ، الموهوبة ، المهفنة الحس ب انتحر زوجها الاول شنقا لثلا يقع في قبضة الشرطة السياسية ، وقتل زوجها الثاني في الحرب ، وحجر على امها في احد مخيمات الاعتقال . ويقال ان اولغا ايفنسكايا قد اوحت الى واضع « الدكتور جيفاكو » بشخص لارا الرائع .

هذا ، وقد تحققت وساوس باسترنالك . فبعد موته بثلاثة اشهر

اعتقلت السيدة ايفنسكايا ثم ابنتها . فحوكمتا بسرعة في ديسمبر من عام ١٩٦٠ ، ولم يبلغ هذا التبا القرب الا في مطلع ١٩٦١ . فهب العديد من ادياء العالم وادبتيهم يطلبون العفو لهما ، ويستقنون العفائق وتفاصيل المحاكمة ولكن بدون جدوى . بل اجاب امين السر في اتحاد الادباء السوفيانيين ، وهو السيد الكسي سيركوف مؤكدا قوله - « لا صلة لهذه القضية بالاديب باسترناك . انها قصة تهريب نقدي . » ثم نعت السيدة ايفنسكايا وابنتها بنوع شائنة دون ان يعالج صلب الموضوع .

ان تكن الاتهامات التي نزلت بالسيدة ايفنسكايا على شيء مسن الصحة ، فليس ثمة ما يؤخذ على ابنتها ايرينا التي يكتنفها الصمت في التصريحات الرسمية . وان الشاعر الانكليزي روبر كونكست ، الذي اصدر كتابا عن باسترناك ، قد قال في تصريح له حول هذه القضية : « ليس ما يحملنا ، حتى الان ، على تصديق ما طلع علينا به السوفيانيون في هذا المجال ، ما لم يتوفر لنا جواب السيدة ايفنسكايا نفسها » . في الواقع لم يرد شيء في البرامج الاذعية الموجهة الى الخارج ، ولا في مراسلات الصحفيين في موسكو من دفاع السيدة ايفنسكايا وابنتها عن نفسها امام القضاة .

وقد نشرت المجلة الايطالية « تمبو بريزنتي » وناقى كثيرة حول هذه القضية منها رسالة وجهها السيد سرجيو انجلو الى السيد سوركوف ، وهو بصفته وكيل الناشر فالترينالي في علاقاته مع باسترناك ومثليه ، اجدر من يعود اليه البحث عن الحقيقة في قضية السيدة ايفنسكايا .

يتمتع السيد انجلو الحجج السوفياتية الداهية الى ان السيدة ايفنسكايا قد استقدمت من الخارج ، خفية عن الكاتب ، قدرا من المال يعود اليه ، فيقول « كل هذا لا صحة له ، وقد اوضحته في شهر مايو الاخر اذ نشرت في عدة صحف كبرى عددا من رسائل كتبها باسترناك بنفسه ، يصرح فيها هذا الاديب ، الذي اضهدتموه طموال حياته وتظاهرون بالعرف عليه بعد مماته ، بانه رقيق الحال ، ويطلب ان يسلم ليده قسم من ربح كتابه « الدكتور جيفاكو » وقد كان ذلك في نظره الوسيلة الوحيدة الممكنة » .

ثم ان السيد انجلو ، في رسالته المذكورة ، يدهض الحجج السوفياتية بصدد الحكم على السيدة ايفنسكايا وابنتها ، وينتهي الى القول « لم تكف وفاة باسترناك لشفاء حقدكم الذي تنزلونه الان مع كثير من السباب والتخامل بامرأتين عزلاوين يبرح بهما الداء الى جانب ذلك » .

وما اكثر الذين سيقاربون ، بعد اطلاعهم على مصرع معاونة باسترناك الحميمة ، بينها وبين لارا في كتاب « الدكتور جيفاكو » . وقد روى باسترناك نهايتها بهذه العبارات « ذات يوم ، غادرت لارا فيودوروفنا المنزل ولم ترجع . لعلها اعتقلت في الشارع . او اضطرت الى ان تموت او تتوارى في مكان مجهول ، منسية تحت رقم مففل من لائحة مفقودة ، وذلك في احد مخيمات الاعتقال الوفرة الواقعة في الشمال » .

★

حياة جديدة للمخطوطات العربية القديمة

كتب ب. غريازنيفيتش المعاون العلمي في الفرع الليننغرافي لمعهد شعوب اسيا لدى اكااديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي المقال التالي عن المخطوطات العربية القديمة :

لو وضع ، في احد الايام ، كتاب حول تاريخ جمع ودراسة المخطوطات العربية والمنشورات المطبوعة في روسيا ، فيستفتح امام القراء قصة مدهشة غنية بالعبير عن الكتب والرجال الذين شقوا الطريق للتقارب ووحدة الافكار بين الشعبين .

ونحن مدينون بالفضيل لهذه المخطوطات وهذه الاثار المرموقة للادب

العربي وللمستشرقين الروس الذين درسوها ، في التعرف الى السمات الروحية والواقعية للشرق العربي ، التي هي نسيج وحدها .

في العقد الرابع من القرن الماضي ، كان الجمهور الروسي يتمتع بقراءة « القصص الشرقية » والكتاب عن رحلة المستعرب ا. سينكوفسكي الى سوريا ، وكانت تنشر في الجرائد والمجلات الروسية المقالات الشعبية للعلماء المستعربين حول الادب العربي . وقد اعطت جهودهم ثمارها . وبعد ان كانت المخطوطة العربية لا تشر سوى اهتمام زوار المتاحف ، ولا تسبب سوى الدهشة ، اصبحت في نظر الانسان الروسي مصدرا للقصص الحية عن احدى حضارات العالم القديمة .

هذا التغيير في الموقف ازاء الاثار العربية القيمة كان له في حينه نتيجة ايجابية اخرى . لقد اثار الاهتمام بجمع المخطوطات الشرقية الذي اكتسب طابعا علميا منذ تاسيس المتحف الاسيوي في عام ١٨١٨ ، في بطرسبرج (ليننغراد حاليا) . وساعد ذلك على ان يحفظ العلم كثر من اعمال الادب العربي التي لا تقدر بثمن .

ويفضل مواهب الجامعين الهواة ، والمستريات التي اجريت في بلدان الشرق ، وفي اسيا الوسطى والقرم والقفقاس ، انشئت في بطرسبرج احدى اكبر المجموعات في اوربا للمخطوطات الشرقية ، والتي استخدمت كاساس لانشاء الاستشراق العلمي الروسي . ان مخطوطات معهد شعوب اسيا التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي تضم وحدها ، في الوقت الحاضر ، قرابة ٧٠ الف مخطوطة ، وكتبا مطبوعة بالكليشيات الخشبية ، ومنشورات بالطباعة الحجرية ، وكتبا نادرة يعود تاريخ طباعتها الى اوائل عهد الطباعة وهي في ٥٠ لغة من لغات شعوب الشرق . ومن بين ال ١٢ الف مجلد في القسم الاسلامي توجد قرابة ٥ الاف مخطوطة عربية . ومن بينها قصائد جرير ، والشاعر العربي الشهير من القرن الثامن ، ومخطوطة البيروني الشهيرة النادرة لكتاب الاثار الباقية من القرون الخالية ، والفائنة الوحيدة لكتابات بخت يد اسامة بن منقذ وهي تضم اسماء مؤلفاته ونسخة « مقامات الحريري » البديعة ، المزدانة بنمنات القرن الثالث عشر المعروفة في العالم بأسره والمخطوطة الفريدة « الديوان » للشاعر الاندلسي ابن قزمان ، وبوميات رحلات احمد بن ماجد ، مرشد فاسكودي غاما ، الخ .

وبالاضافة الى هذه المخطوطات ، تحفظ في هذه المجموعة قرابة ٦ الاف طبعة شرقية للكتب العربية (بالطباعة العادية والحجرية) في مختلف فروع العلم . وبينها مطبوعة من اواخر القرن السادس عشر ، منذ اوائل عهد الطباعة ، على مطبعة مديتشي في روما ، واخرى طبعت في مطبعة حلب في القرن السابع عشر ، وهناك المجموعات الغنية لمطبوعات فاس على مطابع حجزية ، وكذلك جميع الكتب العربية المطبوعة في روسيا منذ بدء الطباعة بالعربية ، اي منذ عام ١٩٥٧ .

ومجموعات المخطوطات العربية في المكتبتين الاخرين في ليننغراد ، المكتبة العامة للدولة ومكتبة الكلية الشرفية في جامعة ليننغراد ، هي اقل غنى من حيث العدد ، لكنها ذات قيمة كبرى من حيث اتقاؤها .

وبالاجمال ، يوجد في مكتبات ليننغراد ، اكثر من ٧ الاف مخطوطة عربية . ويحق لعدد كبير من بينها ان تسمى ، المخطوطات الناهة . ذلك لانها ظلت طوال مئات السنين تمر من يد الى يد اخرى ، بد كانت احيانا مفعمة بالعناية ، واخرى غير مبالية .

هذه المخطوطات التي ناهت سنين طوالا ، والشاهدة على المبقرية البشرية الخلافة وعلى القسوة ، قد وجدت اصدقاءها في روسيا الثانية على ضفاف النيفا . واستطاعت مع اصدقائها الجدد ان تكلم لنفسه حية ، دون ان تخشى عدم التفهم . وهي هنا ، في ليننغراد (بطرسبرج ونيروغراد سابقا) بدأت اخيرا الحياة التي كانت مؤهلة لها وهي خدمة الذكاء البشري ، والتقارب الروحي والفكري بين الشعوب .

صدر حديثاً عن :

دار الطليعة للطباعة والنشر

*

السلطان

تأليف برتر انهراسل - ترجمة خيري حماد
أعمق دراسة عن فلسفة الحكم والسيطرة والنفوذ

روابي افريقيا الخضراء

رائعة همنغواي الوصفية - ترجمة يوسف الخطيب
القصة التي تجعلك تعيش أروع الحوادث مع
همنغواي في إطار طبيعي كله سحر وروع ومفاجآت .

الجنود التاريخية للشعبوية

تأليف الدكتور عبد العزيز الدوري
تحليل واقمي لعناصر الشعبوية السياسية والآتنية
والدينية والأديبه .

ثورة افريقيا

تأليف مادهو باييكار الإخصائي العالمي الهندي
في الشؤون الأفريقية - ترجمة خيري حماد
دراسة شاملة للدول الأفريقية الناهضة تجوي أدق
التفاصيل عن الأحزاب والزعماء الأفريقية .

الخبز مع الكرامة

تأليف الدكتور يوسف عبدالله صائغ
تحليل علمي للمضمون الاقتصادي الاجتماعي
للمفهوم القومي العربي

الشيوعية

تأليف هارولد لاسكي - ترجمة خيري حماد
الكتاب الوحيد المحلل للشيوعية من وجهة نظر
الاشتراكيين الديمقراطيين

لقد عمت عدة اجيال من العلماء المستشرقين الروس اكثر من مئة
عام في وصف ودراسة هذه المخطوطات الثمينة . وعلمهم الكبير ، رغم
انه لم يكن ملحوظا في غالب الاحيان ، كان نكرانا للذات يستحق لقب المانرة
العلمية ، ويضاف الى امجد صفحات تاريخ الاستشراق .

بدأ الوصف المنهجي للمخطوطات العربية في المتحف الاسيوي حوالي
عام ١٨٣٠ . وكان مؤسسه ومحافظة الاكاديمي خ. فرين . وواصل
عمله الاكاديمي ف. روزين ، الذي نشر في عام ١٨٨١ فهرسا يضم
اوصافا لثلاثمئة قائمة للقسم الرئيسي للمخطوطات العربية في المتحف
الاسيوي . وقد نشر هو نفسه في عام ١٨٧٧ جدولا بالمخطوطات العربية
في معهد اللغات الشرقية لدى وزارة الخارجية . وفي عام ١٩٥٢ نشر
الاكاديمي دورن وصف المخطوطات الشرقية وبينها ٢٤٧ مخطوطة عربية،
كانت محفوظة حينئذ في المكتبة العامة . وفي السنوات التالية ، صدرت
سلسلة طويلة من الاعمال لأكبر المستشرقين الروس ، مكرسة لوصف
ودراسة المخطوطات الحديثة ، او المكتشفة .

وبدأت مرحلة جديدة في دراسة المخطوطات العربية بعد الثورة
الاشتراكية الكبرى . وعلى اساس المتحف الاسيوي القديم ، الذي التفت
حوله فقط فئة صغيرة من العلماء المستشرقين ، انشئ في عام ١٩٣٠
معهد خاص للابحاث العلمية الاستشراقية ، جرى تحويله في التسالي
الى معهد لشعوب اسيا لدى الاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي .
وقد اعيد بصورة جذرية تنظيم شروط حفظ المخطوطات . وطريقة
معالجة دراسة روائع الكتابة العربية هذه قد غيرت ايضا . ان نضال
التحرر الوطني لشعوب الشرق الذي وجد في قلوب المواطنين السوفياتيين
صدى حاربا ، ايقظ اهتماما لم يشهد له مثل ابدأ حتى ذلك الحين ،
نحو تاريخ وثقافة وحياة الشعوب الشرقية . والمستربون السوفيات ،
قد بذلوا جنبا الى جنب مع دراسة وطبع النصوص ، نشاطا كبيرا
لاجل ترجمة ونشر المعارف العلمية حول ماضي وحاضر الشعب العربي .
ولم تنس المخطوطات في حقل هذا النشاط . وقد بدأ تحت اشراف ف.
بيليايف الوصف المنهجي لكل مجموعة مخطوطات لينتفرد . وقد انجز
حتى الان الوصف الموجز لمحتويات القسم الجديد للمخطوطات العربية
في المكتبة العامة التابعة للدولة . وقد نشر عرض لمحتويات القسم العربي
في المكتبة العامة لدى الكلية الشرقية بالجامعة . وفي الوقت الحاضر ،
يعمل معاونو الكتب العربي لدى معهد شعوب اسيا باكاديمية العلوم
في الاتحاد السوفياتي ، يعملون في تأليف فهرست للمخطوطات
العربية لهذا المعهد ذاته . وحتى الآن ، ظهر كتابان يضمنان اعمال
النشر الفني العربي والادب الجغرافي . والكتابان التاليان هما على اهمية
الطباعة . وسيضمنان وصف مخطوطات قسم الشعر العربي ، وكذلك
الادب التاريخي وكذلك المؤلفات التاريخية والسري . وبعد ثلاث سنوات
سينتهي نشر كتاب الفهرست ، وسيتمكن العلماء من التعرف على
تطاق اوسع على كنوز مجموعة من اكبر مجموعات المخطوطات في الاتحاد
السوفياتي .

ان نشاط افضل ممثلي الاستشراق الروسي لما قبل الثورة ،
والابحاث والعدد الكبير من ترجمات مخطوطات الادب العربي ، وعمل
التعميم الواسع الذي قام به المستعربون السوفيات قد اسهم الى
حد كبير في التفهم الافضل والاعمق للرأي العام عندنا للتطور التاريخي
الذي حدث في بلدان الشرق العربي التي خلعت النير الاستعماري .
وحيث يتناول احد السوفياتيين ، في ايامنا ، كتابا مترجما عن العربية ،
او ينظر واجهات المعارض ، الى المخطوطات ذات القيمة الكبرى المكتوبة
بخطوط عربية جميلة معشقة الحروف ، لا تعود الى ذاكرته فقط شخصيات
الحكايات العربية المحبوبة منذ الطفولة . فقارننا السوفياتي يبحث ويجد
في مخطوطات الادب العربي عن حكايات حول المآثر الثقافية للشعب العربي
وتاريخه الفني ، وماضيه المؤدي الى الحاضر . ويجعل هذا مفهوما العناية
والانتباه المحاطة بهما في الاتحاد السوفياتي اعمال العلماء الذين
يدرسون وينشرون على الشعب كنوز مجموعات المخطوطات العربية
المحفوظة بعناية في الاتحاد السوفياتي .